مجلة بحوث كلية الآداب
جامعة المنوفية

البحث
٣

مشكلة الحب عند القديس برنار

إعداد

د / نادية عبدالغنى البرماوى

المدرس بقسم الفلسفة

كلية الآداب – جامعة المنوفية

محكمة تصدرها كلية آداب المنوفية

العدد السادس والستون يوليو ٢٠٠٦

web site: http // : www.menofia. edu. eg *** http : // Art.menofia . edu. eg

مستخلص

يتناول هذا البحث – بالدراسة والتحليل – مشكلة الحب عند آخر الآباء من القرن الحادي عشر وهو القديس برنار الذي يعد واحدًا من الشخصيات الهامة والمؤثرة عصر ما قبل المدرسين، كما يعد من أشهر أساتذة الحياة الروحية ومن أعظم الكتاب الصوفيين.

ويتألف هذا البحث من مقدمة ومدخل وثلاثة عناصر وخاتمة.

أما المقدمة فقد تناولت فيها بالدراسة التعريف بالبحث وأهميته والمنهج المستخدم فيه، أما المدخل فعنوانه "حياة القديس برنار ومؤلفاته"، أما العنصر الثاني فيتناول التعريف بالحب عند القديس برنار، وبيان مدى اختلافه عن الرغبة، أما العنصر الثالث فيعرض لدرجات أو أنواع الحب عند القديس برنار، والذي يشتمل عن أربعة أنواع أو درجات: الدرجة الأولى تسمى بالحب الذاتي أو الحب الجسدي الشهواني، والذي يحب الإنسان فيه ذاته من أجل ذاته ولا شيء سوى ذلك، ويميز فيه القديس برنار بين مفهوم الرغبة ومفهوم الحب الذاتي مركزًا – بشكل أساسي ومباشر – على الجانب الحسي الشهواني الذي يعد جانبًا متأصلاً في طبيعتنا البشرية ، والذي يسعى – جاهدًا – لأجل تلبية الحاجات الجسدية ، ولقد بين القديس برنار أن هذه الدرجة من الحب تعد أقرب إلى الرغبة منها لدى الحب الحقيقي.

أما الدرجة الثانية عنده فتعرض لهذا الحب من جانب الإنسان لخالقه على أساس أنه يحقق له الخير الكثير والنفع الجزيل، أي أن هذا الحب يأتي نتيجة المنح والعطايا التي يهبها الله تعالى للإنسان، سواء عطايا مادية أو هبات معنوية.

ويعرض القديس برنار في هذه الدرجة من الحب – لفكرة المجد الإلهي؛ إذ تتجلى هذه الفكرة – في أوضح صورها وأسمى معانيها – في هذه الدرجة من الحب.

أما الدرجة الثالثة فتعرض لهذا النوع من الحب الذي يحب فيه الإنسان خالقه، لا لأنه يحقق له النفع الجزيل والخير الكثير، ولكن لأنه يمثل - في ذاته – أساس الخيرات ومنبع الكرامات؛ أي أنه يمثل الخير في ذاته، وتتضح أهمية هذه الدرجة - من الحب - في كونها تجعل حبنا يكون لأجل الله فقط ولا شيء سواه.

أما الدرجة الرابعة من درجات الحب عند القديس برنار فهي التي تتحقق عندما لا يحب الإنسان شيء ولا حتى نفسه – إلا لأجل الله ولا شيء سواه، وتعد هذه الدرجة هي أسمى وأرقى درجات الحب جميعًا عند القديس برنار؛ إذ ترتقي فيها النفس وتصعد بعيدًا عن الأمور الحسية والمتعلقات الأرضية، جارية بشدة – ومتلهفة بقوة – وباحثة – بعمق – عن خالقها وفاطرها وهو الله تعالى.

أما العنصر الرابع فيعرض لصلة الحب بالتصوف عند القديس برنار، ثم اتخاذه كوسيلة من أقوى الوسائل لأجل الوصول إلى الله تعالى غاية الغايات ومنتهى الرغبات، ثم ينتهي البحث بخاتمة أعرض فيها لأهم النتائج التي قد توصلت إليها من خلال هذا البحث.

والله الموفق للسداد؛؛؛

مُقَدِّمَة

الحب قيمة إنسانية كلية عامة - فالإنسان كائن محب منذ نعومة أظافره - وهو ليس حكرًا على أهل الأديان والشعراء والروائيين والقصاصين، بل هو قديم قدم الإنسان نفسه، فهو قضية إنسانية عامة يستطيع كل فرد منا أن يناقشها بصراحة وحرية تامة، أو بالأحرى ظاهرة إنسانية معقدة تتداخل فيها اعتبارات القيمة والحاجة إلى التغلب على الانعزال النفسي والرغبة في التلاقي مع الآخر.

وإذا كان البعض قد أطلق على القرن العشرين اسم "العصر الذري" بينما سماه آخرون باسم "عصر التقدم العلمي"، وذهب غيرهم إلى أنه "عصر القلق والتوتر النفسي" فربما كان بوسعنا – نحن – أن نسميه باسم "عصر الحب" ذلك أن نظرة واحدة يلقيها المرء على مجتمعاتنا الحالية في الشرق والغرب معًا، لهي كافية، بل وكفيلة بأن تكشف لنا عن الدور الخطير الذي أصبح الحب يلعبه في حياة الناس، ولسنا نعني بذلك أن الحب بدعة استحدثها أهل هذا الزمان، أو أنه كشف جديد أزاح عنه النقاب أهل هذا العصر، بل نعني بذلك أن الحب لم يكن في يوم ما من الأيام شغل الناس الشاغل كما هو الحال في عصرنا الحاضر.

ومن ثم فلم يكن من وسع الإنسان بعد أن صار الحب قضية الساعة أن يجحد أهمية هذه المشكلة أو أن يقف منها موقف المتجاهل أو المتهاون وغير المكترث.

ويبدو أن الحب أشبه ما يكون بالنور، ذلك أننا – جميعًا – نعرف ما هو، ولكن أحد منا لا يستطيع أن يحدد – على وجه الدقة – العناصر التي يتكون منها، إذ اختلف في تحديد ماهيته الشعراء والفلاسفة والأدباء وانتهى الأمر ببيان أنه يمثل خبرة إنسانية عميقة يحياها كل فرد منا لحسابه الخاص، دون أن يقوى على وصفها أو نقلها أو حتى تفسير مدلولها، فمن منا لا يحب؟ ومن منا لم يدرك يوماً أن الحب هو الحياة ؟، أو بالأحرى هو الشعور بالحياة؟ ومن منا لم يدرك أنه يحيا ليحب أو بالأحرى يحب ليحيا؟!.

وإذا كان الفلاسفة قد درجوا على اعتبار القيم ثلاث وهي على التوالي: الحق، الخير، الجمال، فإننا لا نجد حرجاً اليوم في أن نضيف إلى هؤلاء الثلاث قيمة رابعة ألا وهي "الحب"! ذلك الذي يخلع على تلك القيم الثلاث كل ما لها من قيمة، لأنه ماذا عسى أن يكون الحق دون حب الحق والحرص عليه؟!وماذا

عسى أن يكون الخير دون حب الخير والتمسك به؟! وماذا عسى أن يكون الجمال دون حب الجمال والشوق إليه ؟!.

ومن ثم أفلا يحق لنا أن ندخل في عداد الدراسات الميتافيزيقية – التي تتعرض للبحث في القيم – دراسة جديدة نتعرض فيها بالبحث لقيمة "الحب"؟ بل ألا يحتمل أن يكون الفيلسوف هو أقدر الناس على الحديث عن الحب لأنه هو وحده الذي يعرف أنك لكي تفسر الحب، فلابد لك أن تمضي إلى ما وراء الحب ؟!

ولما كان الأمر كذلك، فإنني ومن منطلق هذه الفكرة التي أحسبها لازمة قبل الإشارة إلى موضوع هذا البحث – إذ سيتبين أهميتها بعد قليل – أقدم على دراسة هذا الموضوع الذي يتناول مشكلة الحب عند آخر ممثلي عصر الآباء في القرن الحادي عشر وهو "القديس برنار"(١٠٩٠- ١١٥٣م) محاولة سبر أغوار هذه المشكلة عنده، ومتناولة بالدراسة للغة الخاصة التي تحدث بها في هذا الموضوع.

ويرجع سبب اختياري لهذا الموضوع دون غيره من الموضوعات الأخرى إلى كونه يعد موضوعًا جديدًا لم يتعرض إليه عدد كبير من الباحثين والدارسين، هذا بالإضافة إلى اعتقادي بأننا في أمس الحاجة إلى جعل هذه القيمة – أعني قيمة الحب – من القيم الأساسية، بل والأولية في هذا العصر الذي نعيش؛ ذلك العصر الذي طغت فيه الماديات على الروحانيات، وغلب فيه التقدم العلمي على الارتقاء الروحي.

ولقد اعتمدت في إعداد هذا البحث على المنهج التحليلي، مع إستخدام المنهج النقدي كلما دعت الضرورة إلى ذلك، ويرجع سبب اختياري لهذا المنهج دون غيره من المناهج الأخرى إلى ما تتطلبه طبيعة هذا البحث من عرض وتحليل للآراء والأفكار التي قال بها القديس برنار (موضوع الدراسة).

أما فرضيات هذا البحث فتكمن في الإجابة على التساؤلات الآتية:

١- ما هو مفهوم الحب عند القديس برنار؟ وما الفرق بينه وبين الرغبة؟

٢- هل للحب درجات عند القديس برنار؟ وإن كان ذلك كذلك - فما هي؟

٣- إلى أي مدى ارتبط الحب بالبعد الصوفي عند القديس برنار؟

ويتألف هذا البحث من مقدمة ومدخل وثلاثة مباحث وخاتمه.

أما المقدمة فقد تناولت فيها بالدراسة التعريف بالبحث وأهميته والمنهج المستخدم فيه، كما عرضت فيها للتساؤلات الموجهة للدراسة.

أما المدخل فعنوانه: "حياة القديس برنار ومؤلفاته".

وقد عرضت فيه لنبذة موجزة عن حياة هذا القديس ومؤلفاته.

أما المبحث الأول فعنوانه: "مفهوم الحب وطبيعته عند القديس برنار"

وقد تناولت فيه بالدراسة تعريف القديس برنار للحب وطبيعته، وبيان مدى اختلافه عن الرغبة.

وأما المبحث الثاني فعنوانه: "درجات الحب عند القديس برنار"

وقد عرضت فيه للدرجات الأربع للحب عند القديس برنار، وهى تشتمل على:

أ- الدرجة الأولى: عندما يحب الإنسان ذاته رغبه في ذاته.

ب- الدرجة الثانية: عندما يحب الإنسان الله لأنه يحقق له الخير الكثير والنفع الجزيل.

جـ- الدرجة الثالثة: عندما يحب الإنسان الله لأنه يمثل الخير في ذاته.

د- الدرجة الرابعة: عندما لا يحب الإنسان شيء ولا حتى نفسه إلا لأجل الله تعالى ولا شيء سواه.

وقد عرضت لهذه الدرجات بشيء من التفصيل.

وأما المبحث الثالث فعنوانه: "صلة الحب بالنزعة الصوفية عند القديس برنار".

وقد بينت فيه مدى ارتباط الحب بالنزعة الصوفية عند القديس برنار، ثم اتخاذه كوسيلة من أقوى وأسرع الوسائل للوصول إلى الله والإتحاد به تعالى.

وأما الخاتمة فقد دونت فيه أهم النتائج التي توصلت إليها، وقد أعقبت الخاتمة بقائمة ضمنتها أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في إعداد هذا البحث.

والله الموفق للسداد ،

مدخل: (حياة القديس برنار ومؤلفاته) :-

أ- حياته

يعد القديس برنار أحد الشخصيات المهمة والمؤثرة التي ظهرت في القرن الحادي عشر الميلادي خاصة، وفي العصور الوسطي عامة، إذ استطاع أن يقدم شكلاً جديداً ونمطاً فريدًا من أنماط الحياة الدينية الأسقفية، وذلك لخدمة المسائل الروحية،مستغلاً نفوذه التبشيري الرائع لأجل النهوض بمجالات متعددة، إذ ذكر عنه بأن الكنيسة لم تعرف مبشراً مثله منذ عهد جريجوري الأكبر، وحتى الزمن الذي عاش فيه [1].

والقديس برنار كرجل لاهوتي ينضم إلى زمن ما قبل المدرسيين pre-scholastic ، كما يعرف أحياناً بآخر الآباء The last of the Fathers ولعل هذا ما يجمع عليه الكثيرون [2].

ولد القديس برنار بمنطقة فونتانز Fontaines بالقرب من ديجون Dijon بفرنسا حوالي عام ١٠٩٠م، وهو ينتمي إلى عائلة كبيرة ونسب عريق، مات والداه وهو في سن صغير، سلك طريق الرهبنة وهو في الحادي والعشرين من عمره[3]، فالتحق بدير ستيو *Citeaux وصار راهبًا بها حتى استطاع في أوائل عام ١١١٥م أن يؤسس رهبنة كليرفو [4]، وذلك بالتعاون مع أربعة إخوة وسبعة وعشرين آخرين من أصدقائه[5].

---

(1) James Hastings "M. A., D. D.": Encyclopedia of Religion and Ethics, Vol2, (Saint Bernard), Arthur bunyan, Edinburjh, Tand T. Clark, New York, without Date, p.530.

(2) Hazell Watson, Viney, Anyles bury, Bicks. The penguin Dictionary of Saints, (Saint Bernard), LTD, Penguin Book, first Published, New York, 1965, p.66.

(3) Charles Annandle: The modern Cyclopedia, "Universal information",one Volume, (Saint Bernard), the graskan Publishing conpany, London, 1905,p.471.

* ضيعه فرنسية صغيرة، نذر فيها القديس برنار نفسه للرب عام ١١١٣، وانطلقت منها حركة إصلاحية كبرى.(انظر إميل برهييه: تاريخ الفلسفة، الجزء الثالث (العصر الوسيط والنهضة)، دار الطليعة، ط١، بيروت، ١٩٨٨، ص٧٤).

(4) E. Gilson: La Philosophie au moyen agé, Deuxiemédition, Payot, Paris, 1947, p.333.

(5) Charles Annandle: Op. cit., p.471.

وانظر أيضا يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط دار المعارف، ط٣، القاهرة، ١٩٦٥،ص٩٩.

وبعد مرور عامين على إقامة الرهبنة عزم على إقامة بيت جديد في كليرفو، ونجح بالفعل في استقطاب ما لا يقل عن ثمانية وستين مريداً من بلدان مختلفة كايرلندا وانجلترا، موضحًا مبادئه بشكل واضح وصريح، ومعيدًا لصياغة مبادئ البندكتيين * بصورة أشمل وأدق [1].

ويبدو أن سمعة القديس برنار قد انتشرت بصورة مذهلة وسريعة، على الرغم مما عرف عنه من عدم اعتداد بالنفس، ومن حالة صحية سيئة [2].

ولقد اشتهر القديس برنار باسم المعلم الحلو أو المعسول* The Honey sweet Teacher or Doctor Melliflus[3] ، إذ كان يتمتع بلباقة في الحديث، كما كان لديه قدرة فائقة على جذب انتباه الآخرين، فكان مسموعًا له ومأخوذاً بكلماته، حتى أنه وضع ضمن أساتذة الكنيسة العظام وذلك في عام ١١٧٤م [4] .

ويعد القديس برنار من أشهر أساتذة الحياة الروحية، ومن أعظم الكتاب الصوفيين؛ إذ استطاع أن يقدم أعظم صورة للتصوف النظري الغربي[5]؛ ولقد ظهرت المعارضة ما بين العقل والإيمان في أوضح صورها في القرن الثاني عشر، فكان بيير أبيلارد * ممثلاً لجانب العقل، والقديس برنار ممثلاً لجانب الإيمان، ومن هنا فقد أقام القديس برنار حجته القوية على الفلاسفة والمناطقة،

---

* (طائفة من الصوفية تنسب إلى القديس بندكت الذي ولد حوالي عام ٤٨٠ م في روما، وهو ينتمي إلى أسرة نبيلة، ولما بلغ العشرين من عمره ، فر من أسباب الترف، وألوان اللذائذ في روما، واعتزل الحياة في كهف، أقام فيه ثلاثة أعوام ، فأسس القواعد البندكتية التي استهدفت زهدًا شديدًا) (انظر: برتراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربية "الكتاب الثاني"، الفلسفة الكاثوليكية، ترجمة د . زكي نجيب محمود ، مراجعة د. أحمد أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧، ص ١١٨).

(1) Hazell Watson, Viney, Anyles bury, Bicks: Op. cit., p.66.

(2) G. R. Evans: Philosophy and Theology in the middle ages, Routledge, first Published, New York, 1993, p.78.

* ذكر عنه أن الكلمات التي كانت تخرج من فمه كانت رقيقة ومعسولة حتى إنها كانت أشبه بنقاط العسل، وقطرات الماء العذب (See: Justol Gonzalez: The story of Christianity, Voll, "The Early Church to The Down of The Reformation", Harper & row Publishers, copyright, first Published, New York, 1984,p.282.)

(3) Antony Flow:Adictioniry of Philosophy, macmillan Press, LTD, first Published, London,1979, P42

(4) Justol Gonzalez: op. cit, p.282.

(5) Radha Krishnan: History of Philosophy, Vol.2, "Eastern and western", London, without Date, 189, See also: julian marias: History of Philosophy, Dover Publications, copyright, Inc. New York, 1967, P.151

* "١٠٧٩ ـ ١١٤٢م"، ولد بيير أبيلارد بباريس وهو ينتمي إلى المدرسة الكاتدرائية بباريس، قضى فترة من حياته في دراسة اللاهوت ، ثم عاد إلى باريس ، أشهر كتبه نعم ولا (انظر برتراند رسل: المرجع السابق، ص ٢١١).

مبينًا مدى هجوم هؤلاء واجترائهم على الدين [1]، مؤكدًا على أن العلم الحقيقي هو ما كان مأخوذًا عن المسيح [2]، وهو في هذا يقول:- "إن فلسفتي هي معرفة المسيح والمسيح المصلوب" [3]، ويقول أيضًا "إنني أستطيع أن أصل بالإيمان إلى ما لا يمكن أن أحوزه بالعقل" [4].

ومن هنا كان اتجاهه المباشر نحو رفض كل ما هو عقلاني، واتباع كل ما هو روحاني، فانكب على دراسة التصوف، وشرع في شرح وتحليل الخبرة الصوفية، مبينًا أن الإنسان بإدراكه لحقيقة فنائه وتلاشيه، فإنه يتجه- بكليته – نحو الله تعالى، معليًا من جانب الروح ومقللاً من شأن الجسد، ومتخذًا من الحب – المفعم به تعالى – وسيلة لذلك [5] .

ب- مؤلفاته :-

القديس برنار من القديسين الذين لا يتميزون بغزارة الإنتاج، إذ إنه قد كرس حياته للتأمل والروحانيات أكثر من انعكافه على الكتابات والمؤلفات، ولكن وعلى الرغم من أن كتابات القديس برنار كانت قليلة ونادرة إلا أنها كانت تتميز بغزارة العلم، وسعة الحكمة، ودقة العبارة، وذلك إذا ما قورنت بغيرها من مؤلفات أقرانه ومعاصريه، فكانت كتاباته من أعظم ما كتب في اللاهوت الصوفي مما أدى به إلى أن نال بهذه المؤلفات مركزًا مرموقًا وصيتًا مسموعاً بين خلفائه [6]،حتى إنه كان يلقب بعريس المذهب الصوفي

---

(1) Charles Worth: Philosophy of Religion, the Historic Approaches, macmillan Published, London, 1972, p.5. وانظر أيضًا
آلان دي ليبرا : فلسفة العصر الوسيط، ترجمة د٠مصطفى ماهر، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ١٩٩٩، ص٣٨١.

(2) David Knowles : The Evolution of Medieval thought, second Edition, Long man, London, 1988, p.204.

(٣) وني ايلي الف : موسوعة أعلام الفلسفة، (الجزء الأول)،" مادة القديس برنار" ، قدم له الرئيس شارل الحلو، مراجعة د٠ جورج نخل، دار الكتب العلمية ، ط (١)، بيروت، ١٩٩٢، ص ٢٢٤، وانظر أيضاً، إدوار جونو: الفلسفة الوسيطية، ترجمة د. على ذيعور ،دار الأندلس، ط٣ ، بيروت ، ١٩٨٢، ص١٠٢.

(4) Wallace Matson : A New History of Philosophy, Harcourt College, second Edition, New York, without Date, p. 261.

(5) David Knowles : "Saint Bernard", The Encylopedia of Philosophy, Editor chief by Paul Edwards, "Vols 1-2", Macmillan Publishing Co., Inc the free Press, New York, 1972, p.306, see also, Julain Marias: History of Philosophy, Dover Publications, INC. copyright, New York, 1967, p.151.

(6) New Schaff Herzeg : Encylopedia of Religion Knowledge, Vol.2, "Saint Bernard", basilica, champers,2005, p.1.

Bride-mysticism[1]، كما كانت له شهرة عظيمة بين طائفة البروتستانت، إذ إنهم قد استندوا إلى العديد من كتاباته التي رفضها زعماء حركة الإصلاح الديني [2].

وتشتمل هذه المؤلفات على اثنتي عشر مؤلفاً، وأربع وثلاثين موعظة، وحوالي أربعمائه وأربعين رسالة [3] وهي – في مجملها – لا تخرج عن حوزة الدراسات الآبائية Patrastic Studies واللاهوت الديني، والفلسفة، والتصوف.

ولعل الكتابات الصوفية هي أكثر ما اشتهر بها القديس برنار، والذي كان يقول عنها:- "إنه لأجل فهم هذه المؤلفات فلابد أن تصل – أولاً – إلى أحاسيس الناس وتمس قلوبهم" [4].

ولعل هذه اللمسة المؤثرة لكتابات القديس برنار وإخلاصه فيها جعلنا نستعين بها حتى يومنا هذا، ولقد توفي القديس برنار بعد حياة حافلة بالعمل والنشاط حوالي عام ١١٥٣، وأعلنت قداسته عام ١١٧٤م. [5]

المبحث الاول : مفهوم الحب وطبيعته عند القديس برنار:-

أود – في البداية – أن أشير إلى بيان طبيعة أو مفهوم الحب عند القديس برنار فماذا عسى أن تكون عنده؟

يقول القديس برنار:- "إن الحب يمثل – في جوهره – الاتجاه المضاد أو المخالف للقوى المهلكة أو المدمرة للمحب والمحبوب" [6] أو بالأحرى هو أحد المؤثرات أو المشاعر الطيبة التي لا تحتاج إلى تعريف طويل، لأن كل فرد يعرفه – تمامًا- إذ إنه يعد أمراً طبيعياً أن تحب الآخر [7]، وتكمن قيمته السامية

---

(1) F. Copleston:History of Medieval Philosophy, Methuen and co LTD, first Published, London, 1977, p.202.

(2) New Schaff Herzeg :op. cit, p.1.

(3) Charles Annandle: op.cit, p.471, See also, David crystal: The Cambridge Encylopedia "Saint Bernard", Cambridge university Press, Cambridge, without Date, P133.

(4) F. L. Cross: The Oxford Dictionary of Christian Church "Saint Bernard", Oxford University Press, London, 1957, p.160.

(5) Jean Leclercq: "Saint Bernard", The Encylopedia of Religion. editor in chief by mircea Eliade, Vol.1, Macmillan library Refrence, New York, without Date, p.160.

(6) Richard woods: Understanding mysticism, image Books, A Division of double day, company, INC,,New York, p. 508.

(7) Saint Bernard: on loving God, Chapter 8, 1nternational school of theology, copyright,1997, p.1

في التمتع به لذاته In it self ولذاته فقط ولا شيء سواه[1]، فالحب الحقيقي لا يسأل عن المكافأة الناتجة عنه أو الثمرة المرجوة منه، ولكنه يستوجب هذه المكافأة في ذاته [2] ومن ثم فهو ليس برغبات ولا طموحات، كما أنه لا ينتظر مكافآت ولا جزاءات؛ بل إنه يمثل – في ذاته – أقصى متعة لصاحبه [3].

ولكننا نتساءل: هل هذا الحب النزيه Pure love – الذي يخلو من كل هدف أو منفعة – هو فعلاً الحب الصحيح، الحب الحقيقي، الحب المنشود؟! وهل لهذا الحب وجود؟! أو بمعنى آخر هل من غير الممكن – إن لم يكن من المستحيل – أن يكون هناك حب نزيه على الإطلاق؟!!

وهنا يجيب القديس برنار مؤكدًا أننا لا نقع في مثل هذه التساؤلات إلا نتيجة الخلط بين الحب والرغبة مع أن الفارق بينهما هائل والمسافة شاسعة[4]، وذلك لأن الرغبة لابد أن تكون مغرضة وهادفة، أي أنها تهدف إلى قضاء مصلحة أو تحقيق منفعة، أما الحب فهو أسمى وأرقى من ذلك، ومن هنا فإننا نخطئ التعبير حين نقول إننا "نحب" هذه الأشياء أو تلك، في حين أننا – في واقع الأمر – "نرغبها" فقط، فنحن لا نريد هذه الأشياء التي تشبع رغباتنا لأجل ذاتها، ولكن لأجل ما تحققه لنا من إشباع لمطالب ضرورية وحاجات نفسية، وعلى ذلك فإن ما نحبه – في هذه الحالة – هو أنفسنا، وأنفسنا فقط، أما هذه الأشياء فإننا لا نحبها، ولكن نرغبها فقط هذا عن الرغبة.

أما الحب فهو أبعد ما يكون عن ذلك، فالحب يعني أن تريد شيئاً لذاته، فأنا أحب هذا الشيء معناه أنني أريده لذاته for it self، أريد هذا الشيء لأجل هذا الشيء ولا شيء سواه، أريد الاستمتاع بجماله لأجل جماله، وبكماله لأجل كماله، وبخيره لأجل خيره فحسب ودون أية اعتبارات أخرى [5].

وهنا تنتفي تمامًا علاقة الحب بالمنفعة utilitary ، فالحب لا يسعى إلى نيل أي جزاء ولا ينتظر تحقيق أي منفعة، أو الحصول على أية مكافأة، ولو سعى إلى ذلك لتوقف تماماً عن كونه حباً، لكنه مع ذلك لا يستبعد فكرة المتعة Enjoyment التي لا تغير من طبيعة جوهره، بل تؤكدها، إذ من المعروف أن المحب يستشعر – بلا شك – المتعة التي يمنحها له موضوع الحب، وهذا أمر طبيعي، فالمتعة جزء لا يتجزأ من جوهر الحب ذاته، فالحب لا يكون حباً ما لم

---

(1) Richard woods: op. cit, p.509 .
(2) Saint Bernard : Selected workes, Translated and forward by Gillian R. Evans publist press, copyright, New York, 1987, p.187.
(3) Richard woods: op. cit, p.509.
(٤) اتيين جلسون : روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ، ترجمة وتعليق أ.د إمام عبد الفتاح إمام ، مكتبة مدبولي، ط (٣) ، القاهرة ، ١٩٩٦م ، ص٣٤٦ .
(٥) نفس المرجع ، ص٣٤٦ .

تصاحبه متعة، ومن ثم فمن لم يبحث في الحب عن شيء سوى الحب يحصل على المتعة التي تتلازم معه، ومن يبحث في الحب عن شيء آخر غير الحب نفسه يفقد – عندئذ – الحب والمتعة التي تصاحبه ؛ إذ الحب لا يمكن أن يوجد إلا إذا بحثنا عنه – لذاته – بلا جزاء ولا مكافأة، لكنه ما إن يوجد حتى يوجد جزاؤه معه، وهكذا فإن فكرة الحب الذي يتضمن – في آن واحد – جزاء ويكون – مع ذلك – نزيهاً، تعد فكرة ليست متناقضة [1].

وسنعود إلى هذه النقطة بين ثنايا هذه الدراسة بعد قليل.

المبحث الثاني: درجات الحب عبد القديس برنار:-

عرضنا فيما سبق لمفهوم الحب عند القديس برنار، وبيان مدى اختلافه عن الرغبة، غير أننا من خلال هذا العرض نستطيع أن نقول بأن هناك أنماطاً متعددة ودرجات مختلفة للحب عند القديس برنار، فهناك من الحب ما يتضمن جزاؤه في ذاته، وآخر ينتظر – الجزاء وإن كان هذا لا يعد حباً على نحو ما أشرنا– وهناك نوع نزيه وآخر ليس كذلك على نحو ما يرى القديس برنار [2] ومن هنا نجد لزامًا علينا أن نتناول – بالدراسة – كل هذه الأنماط والدرجات المختلفة للحب كما تناولها القديس برنار، ويمكن عرضها على النحو التالي:-

أ – الدرجة الأولى: "عندما يحب الإنسان ذاته رغبة في ذاته".

وهو ما يسمى بالحب الذاتي Self – love أو بالحب الجسدي الشهواني Carnal love والذي يمثل أول درجات الحب عند القديس برنار[3]، ويعرف القديس برنار هذا الحب الذاتي بأن يحب الإنسان فيه ذاته من أجل ذاته؛ ولا يهتم فيه إلا بخصوصياته، والسعي إلى قضاء حاجاته وإشباع نزواته وتلبية رغباته ولا شيء سوى ذلك [4]؛ إذ استطاع – القديس برنار – أن يحلل الرغبة البشرية بكل ما فيها من بدائية مفرطة وذاتية مسرفة، بادئًا من واقع الخبرة المشتركة للحسية الزائدة Sansuality والذاتية Egoism المتطرفة .

---

[1] نفس المرجع ، ص٣٤٧ .

[2] R. W. Southern: The making of middle ages, hutchinson and co (Publishers), LTD, London, 1978, p.234.

[3] Saint Bernard: op. cit, p. 192 .

[4] Dictionnaire de Spiritualite, "Ascetique et mystique" doctrine et histoire, "Saint Bernard", publie sous la Direction de marcal uiller S. J., tome 1, Gabrien beauchesre et ses files,paris,1937, p.1475 , See aslo Dictionnaire Des Sciences Philosophiques, "Saint Bernard", Par une Societe de Professeurs et de savants, sous la Direction, (M. A. D. Franck), Troiseme Tirage, librairie Hachette et c1f, paris, 1885, P171.

ولعل الخاصية الأولى لهذه الرغبة البشرية – على نحو ما يرى القديس برنار – هي أنها تتجه مباشرة نحو الذات "Ego" وكل ما يرتبط بالذات وهو في هذا يقول :-

"إن الحب البشري يبدأ – بالضرورة – بالذاتية الصرفة pure - self التي تهتم بالفرد وحاجاته الأساسية، ومن ثم فهو يركز على الجانب الحسي الشهواني"Carnality"[1]، ذلك الذي يكون متأصلاً في طبيعتنا البشرية وحاجتنا الجسدية وقوة سلطانهما علينا" [2].

والقديس برنار يقصد بهذا الوصف أن يصف الحالة كما هي في الواقع، أعني أنه يحدثنا عن الحب على نحو ما هو كائن To Be، أما ما ينبغي أن يكون ought To Be فذلك أمر آخر سوف نعود إليه بعد قليل، ويكفي الآن أن نتناول الموضوع كما هو في الواقع .

يقول القديس برنار:- "لقد ولد الإنسان من رغبة جسدية شهوانية وهو في حاجة إلى أن يعيش، غير أنه لا يستطيع أن يعيش دون أن يجعل من نفسه موضوعاً لرغبته الخاصة، أي أن يرغب في ذاته، وطالما أنه لا يستطيع أن يرغب في ذاته دون أن يرغب في كل ما تحتاج إليه ذاته، فإن علينا أن نقول في هذه الحالة:- إن الإنسان يحب ذاته أولاً، ثم يأتي بعد ذلك حب ما تحتاج إليه ذاته انطلاقاً من هذا الحب الخالص لذاته pure self love"[3].

فقد جاء في الوصايا الأولى والعظمى "إنك تحب الله مولاك لا محالة، ولكن الطبيعة تكون عاجزة عن إدراك ذلك بسهولة، وذلك لأنها تحب ذاتها في البداية، وهذا هو الحب الشهواني[4]، كما جاء في سفر التكوين:- "في البدء لم يكن الروحاني، بل كان الطبيعي أي (الجسماني)"[5]، وهذا ليس كفراً، ولكنه بمثابة اتجاه طبيعي وفطرة ملازمة وطبيعة مسيطرة، فلا أحد يكره نفسه أو جسده [6] .

ومن ثم يمكن القول بأن هذا النوع من الحب أقرب إلى الرغبة منه إلى الحب الحقيقي، إذ هو حب جزئي يختص بجزء واحد وهو الجسد "Body" وينتهي بمجرد الحصول على تلك اللذة المصاحبة لإشباع مطالب هذا الجسد أو ذاك [7].

---

(1) اتيين جلسون : المرجع السابق، ص ٣٤٦ .

(2) Saint Barnard : Selected works, sermon (1), p.11 .

(3) اتيين جلسون : المرجع السابق، ص٣٤٦ .

(4) رسالة القديس بولس إلى أهل كورنتس، " ١٥: ٤٦ "

(5) سفر التكوين : الإصحاح الأول، الآية الأولى .

(6) Saint Bernard : On loving God, chapter (8) p.1 .

(7) Ibid, p.1, see also. E. Gilon : La Theologie mystique de Saint Bernard, Paris, 1934, p.195.

كما يمكن القول بأننا نشترك – في هذا النوع من الحب – مع الحيوانات الآخذه بالإلحاح الغريزي، والمعتمدة عليه في كل شئون حياتها [1].

ويبين القديس برنار أن خطورة هذا الحب تكمن في تواردِه أو استحواذه على قلب الإنسان، مما يجعله ينمو بشكل زائد ومتجاوز للحد، بمعني أنه لا يتحقق في إطاره المعتدل، ولا يلتزم بمصارفه الشرعية المعتدلة، بل إنه يسعى دائما إلى الإشباع تلو الإشباع، فيصير الإنسان وكأنه محاط بخندق لا يستطيع الخروج منه أو الفكاك عنه، لأنه يمثل – في ذاته – ثمرة الطبيعة البشرية[2] .

وهو في هذا يقول:- "إن الإنسان – في أغلب الأحيان – يكون مدفوعاً بالطمع ومنقاداً بالطموح، ولا يمكن أن يصل إلى حد الرضا والقناعة، فمن هو متزوج من امرأة جميلة يشتهي الزواج من امرأة أخرى أجمل منها، ومن لديه ضيعة يتمنى الثانية، ومن يملك حقلاً يحلم بآخر أكبر وأخصب منه، وهكذا في سائر الأمور الأخرى" [3].

ويقول أيضاً مؤكدًا على نفس المعنى "إن الإنسان – بطبيعته– يشتاق إلى ما ليس عنده، وينظر دائماً إلى ما في يد غيره، فهو دائماً يطمح ولا يقنع"[4].

ويبين القديس برنار أن هذا يأتي نتيجة أنه لا يوجد في الأمور المادية أو الحسية شيء يمكن أن نصفه بأنه يشتمل على كل ألوان الكمال المطلقة أو الأفضلية الخالصة، وبالتالي فالإنسان يعتقد – دائمًا – أن ما ليس عنده هو السعادة، غير أنه ما إن يحصل عليه حتى يتطلع – سريعًا – إلى غيره، [5] وهذه القضية تمثل خبرة عامة ومشتركة يعرفها الجميع ويعايشها البعض، ذلك أن التصور العام للحب – بشكل عام – يؤكد على أن كل لذة بشرية تكون مرغوبة، لكنها – باستمرار – لا تكون كافية أبدًا، وبالتالي فهي لن تهدأ أبدًا [6].

ولعل هذا السعي الدءوب وراء إشباع مراوغ ينبع من أغوار قلقة في دهاليز النفس البشرية؛ ذلك القلق الذي ينشده مخلوق يسعى وراء سعادته، ولكنه – مع ذلك – لا يعرف السلام طريقًا إلى قلبه، إن الإنسان لعدم حصوله على

---

(1) Saint Bernard: op. cit, p.33.

(2) Saint Bernard: l'amour de dieu, introductions, traductions, notes et index par: francoise callerot "O. C .S. O", jean christophe "O. C. S. O", paul verdeyen "S. J.", ouvrage publie avec le concors de centre National de letters les, editions du cerf Paris , 1993, p.39

(3) Saint Bernard: op. cit, chapter (8) P.1.

وانظر أيضًا : اتيين جلسون : المرجع السابق ، ص٣٤٧ .

(4) Saint Bernard: op .cit, chapter, (6), p.2 .

(5) Ibid, chapter (7), p.2 .

(٦) اتيين جلسون : المرجع السابق ، ص٣٤٧ .

الطمأنينة تراه ينتقل حائرًا تائهًا من شيء إلى شيء، ومن هدف إلى هدف، ومن موضوع إلى موضوع دون أن يستقر على حال، والسبب في ذلك أنه إذا كان ما يملكه خيرًا، فإن ما لا يملكه، يعتقد أنه خير أيضاً، ولأن التيار يجرفه فإنه يترك – باستمرار – خيرًا، ويسعى إلى خير آخر، ويتخلص من لذة ما ناشداً أخرى، ومن ثم فهو يشعر بالملل والضجر وعدم الرضا أو الكفاية من إشباع ما لاهثاً – بقوة – نحو إشباع جديد، إنه يريد طويلا أن يحقق بقوة – بل وبضربة واحدة – كل ألوان اللذة الممكنة ثم يموت بعد ذلك مباشرة، والسبب في ذلك – ببساطة – هو أن اللذة – بطبيعتها – جزئية أي أنها لا تدوم أبدًا، ومن هنا يأتي ذلك الجنون الذي يفشل حتى في الاستمتاع باللذة المدركة (المتاحة) طمعًا في لذة أخرى جديدة سوف تحل محلها، لكنها سرعان ما تنقضي – أيضًا– بطبيعتها .

وهكذا فإن تصيد اللذات وتتبعها ليس إلا صورة مضحكة مخيبة للآمال ومنفرة لمشاعر الأمن والأمان الذي لا نبلغه أبداً، ولعل هذا التصيد – بوصفه حركة – ليس إلا الصورة المتنوعة لطبيعة بشرية ثانية لا تتغير. [1]

ولكننا نتساءل: لماذا لا تقف المطالب الحسية والرغائب الدنيوية عند حد معين؟ أو – بالأحرى– لماذا لا تصل رغباتنا إلى حد الإشباع والاكتفاء في هذا العالم الذي نعيش فيه؟! .

وهنا يجيب القديس برنار– محللاً طبيعة اللذائذ والرغبات – بقوله: "إنه إذا لم يكن من الممكن لشيء ما في هذا العالم أن يشبع رغبة، فربما يكون السبب أن هذه الرغبة مصنوعة لشيء أعظم بكثير من كل ما في هذا العالم، إن جشع الرغبة الجسدية له معنًا إيجابيًا وهو أننا إذا كنا ننجذب نحو خير جزئي متناه، ثم سرعان ما ننفر منه ونذهب عنه، فليس معنى نفورنا هذا إلا رغبة في الحصول على خير كلي لا متناه – وهو حب الله تبارك وتعالى – والضيق والضجر الذي نستشعره ليس إلا نتيجة عمق إحساسنا بالهوة الساحقة واللامتناهية التي تفصل بين ما نحبه وما نشعر به في أنفسنا من كوننا قادرين على أن نحبه، ولكننا نخطئ طريق الوصول إليه [2].

ومن هنا يؤكد القديس برنار ضرورة أن يستخدم الإنسان عقله، وأن يختار بين البدائل والرغبات، فهو إما أن يرضى ويقنع بتلك الخيرات الدنيوية – التي لا تشبعه ولا ترضيه على الإطلاق– إذ أن محاولة إشباعها، والسعي إلى إروائها لا يزيده إلا اتقادًا لرغبات أكثر وبدائل أعظم – مما يؤدي به إلى حالة أقرب إلى اليأس والاستسلام منها إلى الطمأنينة والسلام – وإما أن ينبذ تلك

---

[1] نفس المرجع ، ص٣٤٨ .

[2] E. Gilon: op.cit, p.199 .

الرغبة – ذاتها – لأنه من الحماقة أن يهلك الإنسان نفسه في محاولة إشباع جوع ما يلبث أن يشبعه حتى يولد من جديد مع أول طعام يقدم له" . [1]

ولكن : ما الذي عساه أن يكسبه الإنسان إذا ما زهد في هذه الرغبة على نحو ما يرى القديس برنار؟

إنه سوف يكسب كل شيء بل سوف يأخذ كل شيء،

يقول القديس برنار:- "إنه إذا ما أردت الاحتفاظ بما لا يمكن الإمساك به، فما عليك – عندئذ – إلا أن تحاول أن تزهده أو تفقده، إذ ذاك هو الطريق الوحيد إذا أردت الاحتفاظ بما لا يمكن الاحتفاظ به" .

هذا هو الطريق، وتلك هي الوسيلة، وهو طريق وعر ووسيلة شاقة بلا أدنى شك، ولكن الطريق يكون أقل صعوبة والوسيلة تكون أكثر فعالية عند من يحاول أن يستشعر المتعة التي سوف يحصل عليها عند نبذه لتلك الرغبات، تلك المتعة التي لا تدانيها متعة، واللذة التي لا تعادلها لذة، وهي لذة الوصول إلى الله تعالى غاية الغايات ومنتهى الرغبات [2].

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن القديس برنار قد أعطى معنى إيجابياً؛ بل وحيوياً لمفهوم الرغبة، إذ ليست الرغبة – عنده – هي الإحساس بعدم القناعة أو اللهث وراء مطلب حسي رخيص ومبتذل – لا نستطيع الحصول عليه في الحاضر – بل هي مطلب إيجابي عميق، فالرغبة هي الصيغة أو الصورة الطبيعية القائمة – بالفطرة – في وجودنا المادي وطبيعتنا البشرية، والله تعالى قائم وحاضر في هذه الرغبة الموجودة – بدورها – في أعماق وجودها؛ والتي تجعلنا غير قادرين على كبح جماح الإحباطات التي تعترينا بسبب التعلق بالرغبات الدنيئة الأخرى، ومن ثم فالرغبة في الله تعد هي أفضل الوسائل للدخول إلى حضرته تعالى، ذلك الذي تمثل رغبتنا فيه عين محبته، وغيابه عنا عين شهوده.

وأود أن أشير إلى أن القديس برنار هنا يربط ربطاً شديداً بين فكرة الحب الحقيقي والحرية، مبيناً أن الحب يتولد – لا محاله – من الحرية، إذ لا يستطيع الإنسان أن يصل إلى الحب الحقيقي والمنشود إلا بعد أن يتحرر من قيود اللذات ونهم الرغبات.

كما أود أن أشير إلى بيان أن فكرة الحب ارتبطت ارتباطاً شديداً بفكرة الإرادة، تلك الفكرة التي تمثل الطاقة الثانية أو الجانب الآخر للروح – على حد تعبير القديس برنار – والتي فسدت وضعفت بسبب الجسد، ومن هنا كانت

---

[1] اتيين جلسون المرجع السابق ، ص ٣٤٨ .

[2] نفس المرجع ، ص٣٤٨ ، ٣٤٩ ،

See also: E. Gilon, op . cit, p. 199.

محاولات القديس برنار – الجادة – لأجل تطهيرها وتقويتها من خلال التعود على ضبط النفس، ونبذ الماديات، والتعلق بالروحانيات، جاعلها تحترق بلهيب الشوق، ومشعلاً فيها نار الحب، وغامراً لها في نهر التذلل والبكاء حتى تقوى وتستقيم من خلال علاج سحري أو بالأحرى علوي اسمه الحب، وذلك حتى تستطيع أن تصل إلى قمة غاياتها، ومنتهى رغباتها، وهو الله تعالى، وهذا يمثل النوع الأول أو الدرجة الأولى من درجات الحب عند القديس برنار.

ب- الدرجة الثانية: "عندما يُحب الإنسان الله لأنه يحقق له الخير الكثير، والنفع الجزيل".

وفي هذا النوع من الحب يبين القديس برنار أن الإنسان يحب خالقه لأجل تحقيق مصالحه وقضاء حوائجه فقط ولا شيء سوى ذلك [1] بحيث يمكن القول بأن الدافع الأول لمحبة الله تعالى – في هذا النوع من الحب – يأتي نتيجة الهبات والمنح التي يهبنا الله تعالى إياها [2] .

وبيان ذلك عنده أن الإنسان يتمتع– من قبل الله تعالى– بنعم عظيمة ومنافع كثيرة لا تعد ولا تحصى؛ فالعطاء الرباني واضح – لا محالة – في الجنس البشري، وذلك من خلال ما تراه أعيننا، وما تسمعه أذننا، وما تلمسه أيدينا، وما تشمه أنوفنا، فالهواء الذي يمنحه لكل متنفس، والضوء الذي يهبه لكل ناظر هما خير دليل على فضله تعالى علينا ورحمته تعالى بنا، بحيث يكون من الحماقة أن نتجاهل كل هذه العطايا والمنح من قبل هذا الخالق العظيم، وإذا كنت قد خصصت بالذكر (الهواء وضوء الشمس) فليس هذا لأنهما أعظم عطايا الرب، بل لأنهما يعدا من أهم مقومات الحياة المادية على اختلاف أنواعها ودرجاتها، أو بمعنى آخر أنهما يمثلان حاجات أساسية basic Needs ولوازم ضرورية للكائنات الحية على اختلافها هذا من ناحية العطايا المادية [3] .

أما من ناحية العطايا المعنوية فإننا إذا دققنا النظر في طبيعة هذه الكائنات – كل على حدة – لوجدنا آثار الصانع وبصماته واضحة عليها – لا محالة – ونظرة واحدة إلى الإنسان كافية بأن تبين لنا مظاهر قدرته تعالى عليه ومنته لديه، وهذا ما يبدو واضحًا في طبيعته السامية، وخلقته البديعة، وصنعه الدقيق[4].

---

(1) Saint Bernard: on loving God, "chapter (9), p. 1.

(2) Zerbi : "Saint Bernard", New Catholic encyclopedia, vol2, preparded by an editorial staff the Catholic University of America Washingtion , district of columbia, hill book company, New York, without date, p.337.

(3) Saint Bernard : op. cit, chapter (5) P .1.

(4) *Ibid, chapter (5), p.1*

ويبين القديس برنار أن هذا الحب لا يقتصر على أن يمنح صاحبه مثل هذه العطايا المادية والمعنوية، ولكنه يمتد ليجنبه ألوان الأذى والضرر ويحفظه تعالى منه، بل ويطرحه جانبًا عنه، وهذا أمر طبيعي، فالإنسان – بحكم طبيعته البشرية – إذا ما صادفته المحن ونزلت به الشدائد فإنه – بفطرته – يلجأ إلى الله تعالى طالبًا العفو عنه والنجاة له، فينجيه الله تعالى مما ألم به من خطوب، ووقع به من أحداث، فيقف الإنسان – عاجزاً – أمام غزارة هذا المجد الإلهي* Divin glory ويحب الله الذي أنجاه مما كان فيه [1] .

ومن ثم يمكن القول بأن هذا النوع من الحب لله تعالى يأتي نتيجة ما يستفيد منه الإنسان من فيض جوده تعالى عليه، وما يعود بالنفع عليه ولا شيء سوى ذلك .

وأود أن أشير إلى أن فكرة المجد الإلهي تتجلى في أوضح صورها وأسمى معانيها في هذه الدرجة من الحب، حيث يؤكد القديس برنار على أنه لا توجد نعمة أو منحة تقدم للإنسان بدون معرفة الله تبارك وتعالى، تلك التي تعني المجد الذاتي له تعالى، والذي نحن – بدونه – لا نساوي شيئًا [2].

ولكن ما هو هذا المجد؟؟ أو بمعنى أخر ما الذي يمثله هذا المجد بالنسبة لنا؟؟

وهنا يجيب القديس برنار بقوله:- "إن مجد الله بالنسبة للإنسان يتمثل فيما يمنحه تعالى له من عزة وكرامة، وحكمة وفضيلة [3]، إذ تتمثل عزته وكرامته (أعني إرادته الحرة) في كونه ليس فقط مكرمًا على سائر الكائنات الأخرى، بل مسيطرًا عليها أيضًا، إذ هي مسخرة – من قبله تعالى – لخدمته، كما تتمثل حكمته في تلك القوة التي ندرك بها هذه الكرامة الإنسانية والتي يتضح أنه لا يمكن لإنسان أن يحصل عليها من ذاته، وكذلك فضيلته التي تمثل الثمرة المرجوة من الاثنين معًا، وهما كرامته وحكمته، والتي تسعى جاهدة بصاحبها

---

* إن ما نسميه مجد الله في الكتاب المقدس، إنما يعني أن يتعرف الإنسان على المجد الخاص بالله حسبما يظهر في ظهورات الله المختلفة، والعقيدة تبين أن هذا الكمال أو المجد يمكن التعرف عليه، والمجد نوعان : داخلي وخارجي، ومجد الله الداخلي هو التملك على ذاته في المعرفة والحب، والخارجي هو الذي يعرف في الخليقة أو تتعرف عليه الخليقة، ومجد الله الداخلي (ماديًا وأساسيًا) هو تمام كماله تعالى في أنه يعطي بالخلق والمنح، وهو كمال الكائن الذي يتوجه إليه الخلق كمشاركة في كمال كيان الله تعالى. (انظر: كارل راهنر، هربرت فورغريملر : معجم اللاهوت الكاثوليكي، نقله إلى العربية المطران عبده خليفة ، دار المشرق، بيروت، ١٩٦٨، ص ٣٠٤ ، ٣٠٥).

[1] Saint Bernard: Selected Works , p.194.

[2] Alain michel: théologiens et mystiques au moyen agé, ouvrage publié avec leconcours du centre National du livre, Gallimard, Paris, p.243-244.

[3] Ibid, p.244.

في حضرتك، وإن روحي قد أنمحت فيها آثار الخطيئة ومفاعيل الرذيلة بفعل هذه النار المتقدة من قبل هذا النور الإلهي" [1].

فيالها من لذة لا تعادلها لذة، ويالها من سعادة لا تدانيها سعادة تلك التي تتحقق لهذا الطاهر العفيف المترفع عن الماديات والخارج عن الأرضيات، ويالعذوبة تلك المشاعر الدافئة والخواطر النقية التي تنشأ عن هذا الحب النزيه[2].

ولكننا نتساءل: هل من الممكن أن يصل الإنسان إلى مثل هذه الدرجة من الحب النزيه لله تعالى؟!

وهنا يجيب القديس برنار فيقول :

"إنه يمكن للإنسان أن يحب الله حباً نزيهاً لو أنه استطاع – في حبه لله – أن ينسى نفسه تماماً ونهائيًا"

ولعل هذا – بدوره – يؤدي بنا إلى تساؤل آخر وهو:-

هل يمكن للإنسان أن ينسى نفسه أو يتجاهل ذاته تماماً وكلية؟! أو بمعنى آخر: هل في استطاعة الإنسان أن يتحول – تماماً ونهائيًا – عن ذاته لكي يرتبط بالله تعالى ؟ [3]

وهنا تتأرجح أقوال القديس برنار فيقول :"إن مثل هذا التحول – إذا أخذناه بالمعنى الحرفي لكلمة "التحول" لصار من الصعب علينا – إن لم يكن من المستحيل – أن نبحث عنه على مستوى الطبيعة البشرية، ولكن على أقل تقدير – يمكن القول بأن الطبيعة البشرية قابلة للتحول، بمعنى أن لديها القدرة على التحول [4] .

وأود أن أشير – من جانبي – إلى أن فكرة القابلية للتحول، تلك الفكرة التي أشار إليها القديس برنار هي فكرة واضحة تمامًا بل وقابلة للتحقق، خصوصًا إذا نظرنا إلى مراتب أو درجات الحب والتي سبقت الإشارة إليها منذ قليل .

وبيان ذلك أن القديس برنار لم يجعل حب الله تعالى هو أول وآخر مراتب الحب، كلا بل جعل فكرة الحب تسير – إن صح التعبير – في منحنى تدريجي

---

(1) Saint Bernard: op. cit, "chapter" (15), p. 1., see also, E. Gilon: Histiory of Christian Philosophy in the middle ages, first Published, London, 1955, p.165 .

(2) Saint Bernard: op. cit, p. 42 .

(3) اتيين جلسون : روح الفلسفة المسحية في العصر الوسيط ، ص ٣٤٧ .

(4) نفس المرجع ، ص٣٤٨ .

أو خطوات تدريجية بحيث يرتفع الإنسان منها إلى حب الله تعالى، وهو في هذا يقول "إن الإنسان يحب نفسه بالضرورة – أولاً – وقبل كل شيء، وهو يرتفع إلى محبة الله بخطوات تدريجية" ولعل لفظة "خطوات تدريجية" تكون مساوية أو مرادفة تقريباً لكلمة "تحول"، تلك اللفظة التي وردت على لسان القديس برنار، بمعنى أن هناك مجموعة من الدرجات أو – إن صح التعبير – سلام للصعود إليه تعالى . فالإنسان كان بفطرته الأولى – يحب الله، لكنه نتيجة السقوط نسي ذلك، وانحرف عن طبيعته وتخلى عن فطرته، وأصبح بحاجة إلى درس – إن صح التعبير – لكي يتعلم – من جديد أنه ينبغي عليه أن يحب الله سائرًا على الدرب الذي يوصله إلى هذا الحب.

ومن هنا تظهر الحاجة الماسة إلى التربية Education عند القديس برنار – أو بتعبير أدق – إعادة التربية "Re – Education"، تلك الإعادة التي تعدل للإنسان مساره، وتصحح مداره، ولعل النتيجة الحتمية لهذه الإعادة تؤدي بنا لا محالة – إلى الاهتداء المباشر والهادف نحو الله تعالى باعتباره الموضوع الطبيعي والمناسب لحبنا .

وعلى الجملة يمكن القول بأن القديس برنار كان يسعى جاهدًا لأجل أن يعدل فينا طاقة الحب البشري ويوجهها – بأسرها – نحو الله ولا شيء عداه.

ولكن هنا: يبدو تساؤلاً لا يمكن لعقل بشري أن يفر منه أو يفك عنه وهو: إذا كنا قد فطرنا - بطبيعتنا البشرية – على محبة الله تعالى، فكيف يتسنى لنفس هذه الطبيعة البشرية أن تتخلى عن فطرتها؛ فتميل إلى حب الذات أكثر من حب الله ؟! أليس في هذا نوع من التناقض والغموض الذي لابد لنا من الكشف عنه والتوضيح له ؟ !

وهنا يحل القديس برنار هذه القضية بقوله:- "إنه لابد من القول بأن هناك ميلاً يمكن أن يكون طبيعيًا ومنحرفًا في آن واحد بمعنى أنه متسق مع الطبيعة وخارجاً عنها في نفس الوقت [1]، فقد خلق الله تعالى الإنسان على صورته ومثاله، وهذه الصورة توجد – أساسًا – في الإرادة المنوطة بفعل الحب الإلهي"[2] ، غير أننا نميل إلى الجسد لكوننا بشر ضعفاء ، نؤخذ بالغرائز[3].

وهنا يظهر دور النعمة "Grace" في حياة الإنسان على نحو ما يرى القديس برنار، تلك النعمة التي تعيد الإنسان من جديد إلى صورة خالقه تعالى، وذلك بأن تحدث له نوعًا من طهارة النية ونقاوة داخلية، تمكنه من العودة إلى صورته الإلهية، إذ الإنسان – بمفرده – لا يستطيع أن يعود ثانية إلى مثل هذه

---

[1] نفس المرجع ، ص٣٤٩.

[2] E. Gilson: La Philosophie au moyen agé, p. 299.

[3] E. Gilson : La Theologie mystique de Saint Bernard, 197

وذلك بأن تحدث له نوعًا من طهارة النية ونقاوة داخلية، تمكنه من العودة إلى صورته الإلهية، إذ الإنسان – بمفردة – لا يستطيع أن يعود ثانية إلى مثل هذه الصورة [1]، بمعنى أنه لابد من لطف إلهي أو نعمة إلهية تحفنا ويمن الله تعالى علينا بها لأجل أن ينتصر فينا حبه تعالى على حب ذواتنا [2].

ولكننا نتساءل: هل هذا يعني أن النعمة – في هذا الحالة – تقوم بهدم طبيعة الإنسان بدلا من أن ترتقي بها في معراج نوراني نحو الله تعالى؟؟!!

وهنا يجيب القديس برنار بقوله:- "إنه إذا كانت النعمة ضرورية لنا – حتى نحب الله تعالى أكثر من أي شيء آخر – فإن ذلك لا يعني أن طبيعتنا عاجزة – بمفردها – عن الوصول إلى تلك الغاية، وإنما تعني أن طبيعتنا أصبحت عاجزة – دون النعمة – عن أن تعالج قصورها ثم تحول وجهتها – بعد ذلك – نحو موضوعها الحقيقي وهو محبة الله تعالى" [3] .

ومن ثم فلا يهم أن نكون مفطورين على علائق أرضية، أو أننا نولد مزودون برغبات جسدية، ولكن المهم ألا ننساق وراء هذه الرغبات الدنيئة، بل علينا أن نترفع عنها ونسعى جاهدين للتخلص منها، مستعينين – على ذلك – بمنة الله تعالى علينا، ومستمسكين برحمته تعالى بنا، ولا شيء سوى ذلك [4].

ومن هنا يمكن القول بأن القديس برنار يؤكد ضرورة اقتران هذه النعمة بالمجد الإلهي دون المجد الذاتي self – glory ، ومن هنا كانت دعوته إلى ضرورة ألا تركن النفس الإنسانية إلى ذاتها في الحصول على هذه النعمة، ولكن إلى الله وحده ولا شيء سواه.

ولكن وعلى الرغم من تأكيد القديس برنار على ضرورة الترفع عن الرغبات الجسدية على أساس أنها تقف حائلاً دون الوصول إلى محبة الله، إلا أنه يؤكد على دور هذا الجسد في الوصول بالنفس إلى الله والاتحاد به تعالى.

وهو في هذا يقول: "إن النفس والجسد يعملان معًا لأجل الوصول إلى الخير الذي يتمثل في حب الله تعالى، فالجسد يعد بمثابة معين للنفس للوصول إلى مثل هذه الدرجة، حتى إذا كان عليلا سقيماً، حتى إذا فني وتلاشى، إذ النفس لا تستطيع – بمفردها – أن تكون نفسًا خالصة طاهرة برينة إلا بالجسد،

---

(1) وني إيلي ألف : موسوعة أعلام الفلسفة ، جـ (1) ، "مادة القديس برنار"، ص٢٢٧ .

(2) Charles André Bernard : Le dieu des mystiques "Les voies de l'interiorité", theologies, les editions du carf, Paris, 1994, p.143.

(3) اتيين جلسون : المرجع السابق ، ص٣٤٩ .

(4) C. Butler: op. cit, p.165.

إذ إنه يعد – بمثابة – وسيلة، بل هو وسيلتها الفعالة لأجل الوصول إلى خيرها وسعادتها. [1]

وبيان ذلك عنده أنه في حالة المرض يكون الجسد محل البلاء، ومن ثم يكون منقيًا لها من أدرانها وممحصًا لها من خطاياها، وعلى ذلك فهو وسيلتها الفعالة للتكفير والتمحيص، وفي حالة النعمة والمنح، يكون طائعًا لها ومنقادًا لأوامرها وملبيًا لرغباتها، ومن ثم يكون خير معين وطائع لها، وعند الموت يكون ممجدًا لها، ومعليًا من شأنها، ومن ثم فهو في كافة حالته يكون معينًا للنفس على الوصول إلى غايتها المرجوة وهدفها المنشود، فالجسد المتأوه من المرض يصير – في مرضه – قادرًا على الحب عن قبل مرضه، والجسد الذي يمن الله تعالى عليه بالنعمة واللطف يتجاوب – إلى أقصى حد – مع هذه النعمة، والجسد الذي يموت لا تجد به أية آثار ذاتية أو متعلقات أرضية، ومن ثم فهو في الحالة الأولى يمحص النفس، وفي الحالة الثانية يستجيب للنعمة، وفي الحالة الثالثة ينعم بالخلاص، وعندئذ تصير أنفسنا – بإذعان واشتياق – نحو الله تعالى، ولا شيء سواه، وتدخل معه تعالى في حالة من الهيام التام والمحبة الكاملة [2].

ولكننا نتساءل: ما مكافأة هذا الحب، أو ما الذي يمنحه هذا الحب لصاحبه؟!

وهنا يجيب القديس برنار – باندهاش شديد – فيقول:- "وهل للإنسان أن يثاب على فعل هو يشتاق إليه ؟ بل ويتلهف عليه دون تحفيز أو دفع من أحد ؟! إنه لا أحد يُرغبَّ الجائع في الطعام، ولا العاطش في الشراب، ولا الأم في رعاية أبنائها؛ فهذه فطرة، وتلك طبيعة لا تحتاج لتعلم، ولا تفتقر لبرهان،" [3] إن الحب يمثل شعورًا طبيعيًا وميلاً فطريًا في النفس، وليس تعاقداً معها أو شرطًا لها، فالله تعالى لا يمنح عطية أكثر من ذاته العلية، إنه يقدم نفسه تعالى كأعظم مكافأة لهذا الحب [4] حيث يكافئ الله تعالى هذا الحب بحب متبادل دون أن يكون هناك أي جزاء آخر، إذ يعد هذا هو أفضل جزاء، ومن ثم فمن التناقض أن يُحب الله لذاته ويحب من أجل الجزاء، إذ أن ذاته الشريفة تمثل أعظم جزاء[5].

---

(1) Saint Bernard: op. cit, chapter (11) p.1- 2-3.
(2) Ibid, p.3.
(3) Ibid, chapter (7), p.1 .
(4) Alfred Rivaud: Histoire de la philosophie, Tome Deux, Presses universitairs de France, Paris, 1950, p.20.
(5) Saint Bernard: l'amour de dieu, p. 35 -36 .

بحيث يكون شاغلها الشاغل هو التعلق بالأمور الإلهية والنواحي العلوية، باحثة – بشدة – عنها ، وجارية – بخفة – نحوها ، ومتلهفة – بقوة – نحو هذه النار الناشئة عن هذا الحب الإلهي أسمى وأرقى أنواع الحب جميعًا[1].

المبحث الثالث : صلة الحب بالنزعة الصوفية عند القديس برنار:-

عرضنا فيما سبق لدرجات الحب عند القديس برنار، وانتهينا – في الدرجة الرابعة – إلى أن النفس عندما تصل إلى هذه الدرجة من الحب يحدث لها انقلاب عظيم، وتغير جذري ؛ إذ تتخلى عن كل أنشطتها وفعالياتها ورغباتها، وتحيا فقط لخالقها وفاطرها.

والآن نعرض لصلة هذا الحب بالنزعة الصوفية عند القديس برنار.

حيث يؤكد القديس برنار أن النفس الإنسانية قد فطرت على محبة الله وأنها تنزع – بطريقة تلقائية – نحوه تعالى، باعتباره الموضوع الطبيعي والمناسب لها [2].

ولكن نتساءل: لماذا فطرت النفس الإنسانية على محبة الله ؟

أو بمعنى آخر لماذا جلبت على الميل إليه والتوق لديه ؟!

ولعل الإجابة على هذا التساؤل تتطلب – أولاً – أن نمحو من أذهاننا المغالطة التي تعرف بالحب الطبيعي للذات، والحب الطبيعي لله تعالى، وهو ما يعرف "بالانجذاب الصوفي [3].

ولبيان ذلك نقول بأن ما يسمى "بالحب الطبيعي للذات" هو ذلك الحب الذي يقوم على الميل الطبيعي والضروري من جانبنا للذات من حيث كونها تسعى وتبحث عن خيرها الخاص قبل أي شيء آخر – وقد سبقت الإشارة إلى هذا النوع من الحب – أما تصور "الانجذاب الصوفي"، فهو يفترض على العكس تجاهل الذات، ونسيان النفس كشرط أساسي لمحبة الله ، بحيث يضع المحب حبه خارج نفسه، ويحرر ذاته من أي نوع من أنواع الحب أو

---

(1) Louis bouyer: Orthodox spirituality and Protestant and anglican spirituality, burnsand oates, copyright, 1982, p.100.

(2) Leclercq "Dom Jean, Dom Francois Vandenbrouckes, Louis bouyer, the Spirituality of the middle ages, part (1), burns and oates, copyright, first published, 1968, p.509

(٣) اتيين جلسون : روح الفلسفة المسحية في العصر الوسيط ، ص ٣٤٩ .

العكس تجاهل الذات، ونسيان النفس كشرط أساسي لمحبة الله ، بحيث يضع المحب حبه خارج نفسه، ويحرر ذاته من أي نوع من أنواع الحب أو الارتباطات الأخرى التي يبدو أنها تتحد مع ميولنا الأنانية، غير أنه من العجيب أن الاثنين يلتقيان في النهاية [1] .

وفي بيان ذلك يقول القديس برنار:- "إن تصور المسيحية للكون يقول بأن الموجودات التي خلقها الله تعالى موجودة لأنها تشارك في الوجود الإلهي، كما أن كل مخلوق خير لأنه يماثل خير الله تعالى، ومن ثم فإننا نجد في أعماق هذه العلاقات علاقة أساسية هي علاقة المماثلة "Analogy" والتي تضفي المعنى على كل علاقة بين الخالق والمخلوق، فلو أننا قلنا أن الله هو الخير الكلي، فإننا نستطيع أن نقول أنه تعالى هو الخير الأسمى، وهو الخير الشامل، وهو علة كل خير في العالم، ولو أننا قلنا أن كل خير ليس إلا خيرًا جزئيًا فإننا لا نعني بذلك أن هذه الخيرات الجزئية أجزاء منفصلة عن الخيرية الكلية، وإنما نعني أنها تمثل جزءاً من الخير الإلهي الخالق الذي وهبها الوجود، وتشاركه تعالى إياه، وبهذا المعنى فإن من الصواب أن نقول أنك حين تحب أي خير جزئي – مهما كان نوعه – فإن ذلك – يعني باستمرار – أنك تحب مماثلته للخير الإلهي، فالخير الإلهي هو الأصل، وكل خير جزئي هو شبيه به، هذا فيما يتعلق بالتشابه أو المماثلة بين الله تعالى والإنسان".

أما فيما يتعلق بدرجة الكمال أو الخيرية بين الله تعالى والإنسان فيقول القديس برنار: - "إنه لما كانت الموجودات تعمل من منطلق "فكرة الغايات"، وبالتالي فإنها تتجه – من تلقاء نفسها – نحو خيرها الخاص، وهي حين تتجه نحو خيرها الخاص، فإنها – في هذه الحالة – تسعى إلى كمالها الخاص، وهي محاولة التشبه بالإله، وذلك لأن كمالها الحقيقي يعتمد – بالدرجة الأولى – على تشابهه مع الخير الأسمى، وهو الله تعالى وهذا هو ما يتضح بشدة في موجود عاقل مثل الإنسان الذي يعتقد – اعتقادًا راسخًا – أن سعيه الجاد إلى تحقيق خيره الخاص يقترن – مباشرة – بالسعي الجاد نحو تحقيق كماله الخاص وهو التشبه بالإله – الذي خلق على صورته – على قدر طاقته الإنسانية، إذ من المستحيل أن تحب الصورة دون أن تحب الأصل، إذ طالما عرفت أن الصورة ليست إلا مجرد صورة فحسب، فمن المستحيل أن تحبها دون أن تحب الأصل هو الله تعالى[2] ومن ثم يمكن القول بأن الدافع إلى محبة الله هو الله نفسه؛ فهو العلة الكافية لموضوع حبنا [3].

فإذا ما أضفنا إلى ذلك أن لديه وعداً من الله تعالى بالرؤية السعيدة، فإننا سوف نعرف – بسهولة – أن الإنسان مقدر عليه أن يصل في آن واحد –

---

[1] نفس المرجع ، ص ٣٥٠ .

[2] نفس المرجع ، ص ٣٥٢ – ٣٥٣ .

[3] Leclercq "Dom Jean, Dom Francois Vandenbrouckes, Louis bouyer: the Spirituality of the middle ages, part (1), p.507.

وبنفس الفعل – إلى قمة كماله الخاص، وإلى تمام التشابه مع الله تعالى بقدر ما هو متاح له في هذه الحياة [1] .

وبناء على ذلك فإننا نصل إلى نتيجة مهمة، وهي أن مماثلة الإنسان لله توازي كماله، وذلك لأنه لو كان الإنسان على صورة الله تعالى، فإنه كلما كان يشبه الله أكثر فإنه يحقق بلا شك ماهيته أو صورته الخاصة به أكثر وأكثر، ولما كان الله تعالى هو كمال الوجود، وهو الموجود الذي يعرف نفسه بطريقة متكاملة، ويحب ذاته بطريقة شاملة، فإنه إذا ما حقق الإنسان إمكاناته وقدراته، وسعى بها، فإنه يحقق هذه الصورة الكاملة لله تعالى، وهي محبته تعالى في ذاته ولأجل ذاته ولا شيء سواهما [2] .

ولعل الإمعان في التفكير في هذه القضية وبخاصة في قوله "التشابه أو المثال والصورة" – والنابعة أساسًا من فكرة الخلق – "Creation" سوف يبين أن التعارض المفترض بين حب الذات وحب الله لا أساس له من الصحة، فحين نقول إنه إذا كان الإنسان يحب نفسه بالضرورة، فهو لا يحب الله حبًا نزيهًا، ألسنا نتجاهل أن حب الله تعالى حبًا نزيهًا هو الطريق السليم لأن يحب الإنسان نفسه؟ وبناء على ذلك فإننا نتساءل: ألسنا نستطيع القول بأنه ليس ثمة تصوران للحب، وإنما هو تصور واحد يتطور في نتائج متعددة ؟! أليس من التناقض أن نقول إن حب الله يتعارض مع حب الذات؟! [3] .

يقول القديس برنار: "إن حب الإنسان لذاته ليس حاجزًا أو حجر عثرة نحو محبة الله تعالى ؛إذ طالما أن الإنسان يحب ذاته ما دام يحب الله تعالى، فيتحد القصدين الإلهي والإنساني، وعندئذ يتحد الله مع النفس وتصير كالعروس له، وعندئذ يتحقق التوافق التام بين الإرادتين "الإلهية والإنسانية"، وليس الاتحاد بين الماهيتين "الربانية والبشرية"[4]،أي أننا نصبح متحدين معه؛ مع بقائنا متميزين عنه، وهذا ما عبر عنه القديس برنار بقوله: "تضامن الإرادات وتوافق المحبة" [5]. وعلى هذا المستوى تتحد النفس الإنسانية مع الله ؛فيحبها كما يحب ذاته فالنشوة ليست إلا قمة اتحاد الإرادتين وتناغم (توافق) الحبين

---

(1) اتيين جلسون : المرجع السابق ، ص ٣٥٤ .

(2) نفس المرجع ، ص٣٥٤ .

(3) نفس المرجع ، ص٣٥٤ .

(4) د. حسن حنفي : معجم أعلام الفكر الإنساني، جـ (١) ، "مادة القديس برنار" ، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين ، تصدير د- ابراهيم مدكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١ ، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٩٣١، ٩٣٢ ، وانظر أيضًا : وني إيلي ألف: موسوعة أعلام الفلسفة ، جـ (١) ، "مادة القديس برنار"، ص٢٢٥ .

(5) جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة ، "مادة القديس برنار" ، دار الطليعة للطباعة والنشر ط٢ بيروت ، ١٩٩٧ ، ص ٥٦٤ وانظر أيضا وني إيلي ألف : المرجع السابق، ص٢٢٧.

الإلهي والإنساني، وهذا هو ما أسماه القديس برنار "بالاتحاد السروري للنفس"[1].

غير أن القديس برنار يؤكد أن من يصل إلى مثل هذه الحالة من "الاتحاد السروري للنفس مع الله" على حد تعبيره، تتحقق له خبرة فريدة من نوعها يعرفها الكثير ولا يعايشها إلا القليل، كما لا يمكن نقلها للغير، فالذي لم يعايشها لا يعرف ماهيتها، والذي عاشها لا يستطيع وصفها أو نقلها للغير، وذلك لأنها تعد خبرة فريدة جداً من نوعها، بحيث يكون من الصعب وصفها أو التحدث عنها، فمن كان حافظًا لله تعالى بكليته فكيف له أن يقول ؟! وكيف له أن يتذكر؟! وماذا يتذكر الإنسان إذا وصل إلى مثل هذه الدرجة من النقاء والشفافية؟! حتى إنه لينشد قائلاً "مولاي" إنني أبحث عنك بشدة، ولا أستطيع التحدث عنك عندما أصل إليك"[2].

ومن ثم يمكن القول بأن القديس برنار أقام نظريته في الاتحاد بين الله تعالى والإنسان على أساس تجربة شخصية هي تجربة "الجذب الصوفي" Mystical Extase ، مؤكدًا أنها تمثل تجربة شخصية خاصة جدًا، بحيث لا يمكن نقلها للغير، ولا يمكن التحدث عنها لمن لم يجربها.

ومن خلال ما سبق يتبين لنا كيف أن فكرة الحب ارتبطت ارتباطًا مباشرًا بالنزعة الصوفية أو الانجذاب الصوفي عند القديس برنار، تلك الفكرة التي ظهرت واضحة فيما اسماه "بالاتحاد السروري للنفس" على حد تعبير القديس برنار، مؤكدًا أنه عندما تصل الروح إلى مثل هذه الدرجة العالية الرفيعة من الاستقامة في المشاعر، والطهارة في الأغراض، فإنها تستطيع أن تنجذب – بقوة – نحو الله تعالى، فتصير كلا واحدًا فيه تعالى، وعندئذ فإنها سوف تنشد قائله "لقد انمحت معالم جسدي وقلبي، وصار الله تعالى وحده هو الوحيد في قلبي وسمعي وبصري إلى الأبد" [3]، وتلك كانت الشرارة الأولى لحياة التصوف وممارسة طقوسه عند القديس برنار.

---

(1) E. Vacandard: Dictioninaire de thèologie Catholique, contenant, l'expse de thèologie Catholique, avec le concours R'un grand noumpre de collaporateurs, tome deuxieme, librairie letowzey et aue, Paris, 1932, p.779 – 780.

(2) E. Gilson: La Philosophie au moyen agé, p. 299, see also, C. Butler: Western mysticism, p.298.

(3) Saint Bernard: on loving God, chapter (10) p.1. See also : Jean lecnercq : the encyclopedia of Religion vol.1, 115.

ويمكن لنا أن نتساءل عن أصل نزعة التصوف عنده؟ فهل تأثر القديس برنار بأعلام التصوف السكندري؟، أم أنه تأثر بصوفية الهنود في الشرق القديم ؟ .

وهنا نقول: إنه لما كان التصوف عامة لا يمكن دراسته إلا في ضوء التصوف الهندي؛ وذلك لأن جميع المشكلات التي تعرض لها العقل البشري – فيما يتعلق بالاتصال بالمبدأ الأول – قد عرض لها العقل الهندي من أقدم العصور، وكانت موضوع تأمل ونقاش واسع بين حكمائه؛ ولذا فإن بعض المؤرخين يرى أن تجربة القديس برنار – التي تقوم على الجذب أو الاتحاد – هي أقرب ما تكون في طبيعتها إلى ما قال به بعض متصوفة الهنود، فالفكرة واحدة، وإن اختلفت الأسماء والمسميات، فوحدة الانامع الكائن الكلى موجودة في الأوبانيشاد الهندية ؛ وهذه الوحدة لا تتم عن طريق المعرفة ولكن بالتدريب والتأمل ، وهذا هو لب المذهب الصوفى عند القديس برنار .

ولكن على الرغم من ذلك فإننا إحقاقًا للحق نقول بأنه ليس لدينا دليل قاطع ولا برهان أكيد يشهد بهذا التأثير والتأثر الذي سبقت الإشارة إليه.

وفي النهاية أود أن أتساءل : هل كان القديس برنار – فيما يتعلق بمسألة الوحدة – أعني الاتحاد أو الجذب صوفيًا أحاديًا، بمعنى أنه كان يؤمن بالتطابق التام أو الاتحاد الكامل بين الله تعالى والإنسان أثناء الجذب ؟ أم أنه كان صوفيًا موحدًا، بمعنى أنه كان يؤمن بوجود فارق بين الذات الإلهية والذات البشرية؟.

الحقيقة أن القديس برنار يعد صوفيًا موحدًا خالصًا، حيث أنه – بنص حديثه – يؤكد أن الاتحاد يكون في الإرادات لا في الماهيات، فأغلب الظن أن الوحدة الصوفية البرناردية هي وحدة تأملية تقوم على المحبة والقداسة وليس أكثر من ذلك؛ فكل ما يحدث هو لحظات تجليات وفيوضات وإشراقات عليا يصل الإنسان – بفضلها – إلى حالة الجذب أو الفناء في الله تعالى، ولكنه يعود بعدها مباشرة إلى طبيعته البشرية، ومن ثم يمكن القول بأن القديس برناريؤكد – ضمنيًا – على وجود فارق بين الخالق والمخلوق.

الخاتمة :-

لقد صنف القديس برنار ضمن القديسين الذين حققوا – بمذهبهم الصوفي ونزعتهم الروحية – سيطرة شديدة على أنماط الفكر آنذاك، وكان لهم أثر لا يمكن إغفاله أو التغافل عنه في إثراء حياة الكنيسة والارتقاء بفكر رجالها؛ إذ تأثرت الرهبنة الفرنسيسكانية بالكثير من ملامح وتوجهات القديس برنار، وكذلك المدرسة الفرنسية – في القرن السابع عشر – كانت قد أحيت وأنعشت الكثير من الحقائق الدينية والأفكار الأساسية في لاهوت القديس برنار، ذلك الذي عرف أن أهم ما في الحياة هو الحب؛ فدعانا جميعًا إلى التمسك به، والوقوف عليه ما استطعنا إلى ذلك سبيلا.

هذا ويمكن إجمال أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث في النقاط التالية:-

١ – القديس برنار يتمتع بشخصية تعبق بعبق الروحانية، وتناصر كل نزعة دينية، وتدافع عن الدين، وتشع بالقيم الأخلاقية والمثل الروحانية، وتعتمد على القلب، وتتخذ من العاطفة والوجدان شريعة ومنهاجًا، ومن الروحانيات دليلاً وبرهانًا .

٢ – أعطى القديس برنار فكرة الوصول إلى الله والاتحاد به اهتمامًا كبيرًا في مذهبه، واتخذ من مقوله عد إلى الله "Return to God" شعارًا أساسيًا له، بحيث يمكن القول بأن الله تعالى كان يمثل حجر الزاوية، وأساس الفكر، ومنبع التصور في فكر القديس برنار وفي فلسفته كلها .

٣– أكد القديس برنار أن موضوع الحب يمثل نوعًا من الحنين إلى الأصالة الفطرية القائمة في الروح – إن صح التعبير – إذ لم يذكر القديس برنار أن الحب يخرج بصاحبه من إطار نفسه أو يصعد به من فلك ذاته – كلا وإنما بيَّن أن الحب الحقيقي هو عودة من وحشة الاغتراب عن الفطرة إلى أنس الاقتراب منها أو بالأحرى من قسوة الأسفار إلى حنين الاستقرار، ومن قلق البعد إلى طمأنينة القرب – إن صح التعبير – مؤكدًا أن الطبيعة الأولى للنفس تتحقق – لا محالة – بالحب وفي الحب ومع الحب، وكانت هذه هي فطرة الله التي فطر الناس عليها، غير أنهم قد انحرفوا عن فطرتهم – لعدة عوامل خارجة عن إرادتهم – فذهبت منهم تلك الفطرة، وغابت عنهم تلك الطبيعة، ومن هنا كانت المهمة الأولى في مذهب القديس برنار، بل وفي حياته كلها هي محاولة العودة بالنفس إلى فطرتها الأولى التي فطرها الله عليها، إذ لا تبديل لخلق الله .

٤ – استطاع القديس برنار أن يغوص في أعماق النفس البشرية – كأجمل ما يكون الغوص – محللاً لطبيعتها، وكاشفًا عن أغوارها، وساعيًا بين

دهاليزها، – ومجاهدًا بكل ما أوتي من قوة – لأجل السمو بها والارتقاء بملكاتها، وتصحيح مسارها، وإعادة ترتيبها لأجل العودة بها إلى فطرتها الأولى وهي الوصول إلى الله والاتحاد به تعالى، بحيث يمكن القول بأن القديس برنار كان سيكلوجيًا روحانيًا أكثر منه لاهوتي عقلاني.

٥ – سادت نزعة زئبقية – بعيدة المدى – في فكر القديس برنار، وخاصًا فيما يتعلق بالعلاقة بين النفس والجسد، فهو تارة يقول بأن الجسد يقف حائلاً دون وصول النفس إلى أقصى مساعيها ومنتهى غاياتها، وهو الله تعالى، وتارة أخرى ينادي بأن الجسد يكون معينًا للنفس على الحصول على البراءة التامة، وبالتالي الوصول إلى الله تعالى، وكنا ننتظر منه أن تكون أقواله أكثر وضوحًا وحسمًا، وأميل إلى أحد الرأيين دون الآخر بدلاً من التأرجح بينهما، خصوصًا وأن له حديثًا طويلاً حول إعادة التربية وتصحيح المسار والسعي الجاد نحو التقويم النفسي للاتجاهات والميول والإرادة الإنسانية، ولكنه لم يفعل.

٦ – أكد القديس برنار دور النعمة في الوصول إلى محبة الله تعالى والترفع عن كل ما هو دونه، مؤكدًا أن بابها إذا فتح فإنه لا يغلق، بل لا يمكن لأحد أن يغلقه، والحق أننا لا نود الخوض في هذه القضية – لا من قريب ولا من بعيد – ولكن كل ما نود الإشارة إليه، ويهمنا الوقوف عليه، هو بيان أن القديس برنار سلم بهذه الفكرة على صورتها، وأخذها على شاكلتها دون محاولة تعديلها أو النظر إليها بعمق، وكنا ننتظر منه أن يضع معيارًا واحدًا ثابتًا وفاصلاً للمنح أو المنع- إن صح التعبير- بدلاً من انسياقه وراء الحس الديني والمنزع اللاهوتي، ولكن يبدو أنه قد تأثر في هذه القضية بأصداء بعيدة المدى عند الآباء المسيحيين في العصر الوسيط.

٧ – اتخذ القديس برنار من "الحب" قانونًا له، مؤكدا أن هذا الحب يجري في الكون كما يجري الدم في جسد الكائن الحي، غير أن هذا الحب لم يكن حبًا جامدًا سلبيًا ومتحجرًا، ولكنه كان حبًا إيجابيًا نابضًا ومتفاعلاً، يقوم على أسس عملية ووسائل حياتية، ولكن وعلى الرغم من هذه الوسائل العملية والأبعاد المتاحة للجميع- للوصول إلى هذا الحب في مذهب القديس برنار – إلا أنه بنص حديثه نجده يقول "إن قمم الحب تمنح نادرًا، وفي أضيق نطاق لقلة فقط ، وهذا يعني أن المحبة لا تتحقق لبني البشر جميعًا، وإنما هي وقف على مجموعة خاصة وفئة محددة من البشر ؛ تلك الفئة التي اختصها الله تعالى بفضله ومنته ؛ فاستطاعت الدخول في حضرته والتعمق في ذايته ولكن ما المبرر لهذه الأقوال، وما الدافع وراء هذه المحدودية والاختصاص ؟! لقد كنا ننتظر منه أن يقول بأن هذه المسألة تكون متاحة للجميع طالما أنهم يأخذون بأسبابها، خاصة وأن

أسبابها وطرق الوصول إليها متاحة في مذهبه ولكنه لم يفعل، ويبدو أن هناك عوامل دينية وأفكارًا لاهوتية كانت قد أثرت عليه – لا محالة – في قوله بهذه الآراء.

٨ – ارتبطت فكرة الحب عند القديس برنار بالخبرة الصوفية والسعادة اللدنية، مؤكدا أننا لا نصل إلى أقصى حالات السعادة القصوى إلا عندما تتحد إرادتنا الإنسانية بالإرادة الإلهية أو على حد تعبيره عندما يحدث "توافق الإرادتين الإلهية والإنسانية"،أي بالوحدة المطلقة بين الله تعالى والإنسان، مؤكدًا أن هذه الوحدة لا تتحقق في هذه الحياة الدنيا، ولكن عند البعث أو القيامة ، بمعنى أنه لا سبيل إلى الوصول إلى السعادة المطلقة ultimate Happiness في الحياة الدنيا!!

ومن ثم يمكن القول بأن السعادة عنده كانت سعادة أخروية لا دنيوية – إن صح التعبير- ولكننا نتساءل : هل هذا يعد أمرًا مقبولاً ومنطقيًا ؟! وهل يمكن للإنسان أن يجاهد نفسه، ويمارس كل ألوان الحب لله والزهد في الدنيا، وبعد كل هذا لا يصل إلى السعادة، ولا يحصل على الخلاص إلا بعد أن يغادر هذه الحياة ؟! وكأنه من غير المقدور أن نشعر بالسعادة ونحن على ظهر هذه الأرض، وكأن الحب الذي يعلمنا طريق الوصول إلى الله يذهب بنا إلى الموت، ويبعدنا عن هذه الحياة!! وكيف يتسنى للقديس برنار رائد الحب والمحبين أن يقول بهذا الرأي.

لقد كنا ننتظر منه أن يدلي لنا بأقوال عملية، وأن يكون صاحب نزعة إيجابية، بحيث يحمل طابع السعادة عنده بعدًا عمليًا ودافعًا ملموسًا أكثر مما كان سائدًا في مذهبه ولكنه لم يفعل، ويبدو أن نزعته الآبائيه واتجاهه الديني الصارم كان قد غلب عليه في قوله بهذه الآراء.

تلك هي أهم النتائج التي قد توصلت إليها من خلال هذا البحث، وأرجو من الله تعالى أن أكون قد وفقت فيما قدمت إنه تعالى نعم المولى ونعم النصير.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر :-

1- Bernard (Saint): Selected workes, Translated and forward by Gillian R. Evans, publist press, copyright, New York, 1987.

2- Bernard (Saint): l'amour de dieu, introductions, traductions, notes et index par: francoise callerot "O. C .S. O", jean christophe "O. C. S. O", paul verdeyen "S. J.", ouvrage publie avec le concors de centre National de letters les, editions du cerf Paris, 1993.

ثانيًا: المراجع :-

أ- العربية :-

١- برهييه "اميل": تاريخ الفلسفة، الجزء الثالث "العصر الوسيط والنهضة"، دار الطليعة، ط١، بيروت، ١٩٨٨.

٢- جلسون "اتيين": روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة وتعليق أ٠د إمام عبد الفتاح إمام ، مكتبة مدبولي، ط٣، القاهرة، ١٩٩٦م.

٣- جونو "إدوار": الفلسفة الوسيطية، ترجمة د٠على زيعور، دار الأندلس، ط٣، بيروت، ١٩٨٢.

٤- راسل "برتراند" : تاريخ الفلسفة الغربية "الكتاب الثاني"، الفلسفة الكاثوليكية، ترجمة د ٠ زكي نجيب محمود ، مراجعة د٠ أحمد أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧.

٥- كرم "يوسف": تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط دار المعارف، ط٣، القاهرة، ١٩٦٥.

٦- ليبرا "آلان دي": فلسفة العصر الوسيط، ترجمة د٠مصطفى ماهر، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ١٩٩٩.

ب ـ الأجنبية:-

1- Bernard (Charles André) : Le dieu des mystiques "Les voies de l'interiorité", theologies, les editions du carf, Paris, 1994.

2- Bouyer (Louis): Orthodox spirituality and Protestant and anglican spirituality, burnsand oates, copyright, 1982.
3- Butler (Cuthbert): Western Mysticism, constaple and company, L T D, second edition, London, 1927.
4- Charles Worth (M. J): Philosophy of Religion, the Historic Approaches, macmillan Published, London, 1972.
5- Copleston (Fredric) :History of Medieval Philosophy, Methuen and co LTD, first Published, London, 1977.
6- Evans (G. R) : Philosophy and Theology in the middle ages, Routledge, first Published, New York, 1993.
7- Gilon (Etienne) :La Theologie mystique de Saint Bernard, Paris, 1934.
8- _____: History of christian Plilosophy in the middle ages ,first Published, London, 1955.
9- _____: La Philosophie au moyen agé, Deuxiemédition, Payot, Paris, 1947.
10- Gonzalez (Justol) : The story of Christianity, Vol1, "The Early Church to The Down of The Reformation", Harper & row Publishers, copyright, first Published, New York, 1984.
11- Knowles (David): The Evolution of Medieval thought, second Edition, New York, Long man, London, 1988.
12- Leclercq "Dom Jean, Dom Francois Vandenbrouckes, Louis bouyer", the Spirituality of the middle ages, part (1), burns and oates, copyright, first published, 1968.
13- Marias(Julián): History of Philosophy, Dover Publications, copyright, Inc. New York, 1967.

ب- الأجنبية:-

1. Annandle (Charles): The modern Cyclopedia, "Universal information",one Volume, "Saint Bernard", the graskan Publishing conpany, London, 1905.
2. Cross (F. L): The Oxford Dictionary of Christian Church "Saint Bernard", Oxford University Press, London, 1957.
3. crystal (David): The Cambridge Encylopedia "Saint Bernard", Cambridge university press, Cambridge, without Date,
4. Dictionnaire Des Sciences Philosophiques: "Saint Bernard", Par une Societe de Professeurs et de savants, sous la Direction, (M. A. D. Franck), Troiseme Tirage, librairie Hachette et c1f, paris, 1885
5. Dictionnaire de Spiritualite, "Ascetique et mystique" doctrine et histoire, publie sous la Direction de marcal uiller S. J., tome1, "Saint Bernard", Gabrien beauchesre et ses files, paris, 1937.
6. Dictioninaire de thèologie Catholique, contenant, l'expse de thèologie Catholique, avec le conco-urs R'un grand noumpre de collaporateurs, tome deuxieme, "Saint Bernard", librairie letowzey et aue, Paris, 1932.
7. Flow (Antony):Adictioniry of Philosophy, macmillan Press, LTD, first Published, London, 1979.
8. James Hastings : "M. A., D. D.": Encyclopedia of Religion and Ethics, Vol2, "Saint Bernard", Arthur bunyan, Edinburjh, Tand T. Clark, New York, without Date.

14- Matson (Wallace): A New History of Philosophy second Edition, Harcourt College, New York, without Date.
15- Michel (Alain): Théologiens et mystiques au moyen agé, ouvrage publié avec leconcours du centre National du livre, Gallimard, Paris,.
16- Rivaud (Alfred): Histoire de la philosophie, Tome Deux, Presses universitairs de France, Paris, 1950.
17- Sarvepalli (Radha Krishnan): History of Philosophy, Vol.2, "Eastern and western", London, without Date.
18- Southern (R. W): The making of middle ages, hutchinson and co (Publishers), LTD, London, 1978.
19- Woods (Richard): Understanding mysticism, image Books, A Division of double day, company, INC, New York, without Date.

ثالثا : الموسوعات والمعاجم

أ- العربية:-

١- راهنر (كارل)، هربرت فورغريملر: معجم اللاهوت الكاثولكي، نقله إلى العربية المطران، عبده خليفة، دار المشرق، بيروت، ١٩٦٨.
٢- طرابيشي (جورج): معجم الفلاسفة، مادة القديس برنار، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٩٧.
٣- معجم أعلام الفكر الإنساني: المجلد الأول، "مادة القديس برنار"، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين، تصدير د٠ إبراهيم مدكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط (١)، القاهرة، ١٩٨٤.
٤- موسوعة أعلام الفلسفة (العرب والأجانب): (الجزء الأول)، قدم له ألرئيس شارل الحلو، مراجعة د٠ جورج نخل، دار الكتب العلمية ، ط (١)، بيروت، ١٩٩٢.

9. New Catholic Encyclopedia, vol2, preparded by an editorial staff the Catholic University of America Washingtion,", "Saint Bernard", district of columbia, hill book company, New York, without date.
10. The Encylopedia of Religion: editor in chief by mircea Eliade, Vol.1, "Saint Bernard", Macmillan library Refrence, New York, without Date.
11. The Encylopedia of Philosophy, Editor Chief by Paul Edwards,"Vols1-2"Saint Bernard", Macmillan Publishing Co., Inc the free Press, New York, 1972.
12. Watson (Hazell), Viney, Anyles bury, Bicks: The penguin Dictionary of Sai`nts, "Saint Bernard", LTD, Penguin Book, first Published, New York, 1965.

رابعًا: المواقع الخاصة بشبكة الإنترنت:-

1. New Schaff Herzeg: Encylopedia of Religious Knowledge, Vol.2, "Saint Bernard", basilica, champers, 2005.
2. Bernard (Saint): on loving God, "Several chapters" International School of theology, copyright, 1997.

Summary

This research tackles the issue of love according to the last saint in the 11th century, saint Bernard, who is considered one of the must important figures in the pre-scholars age. Saint Bernard is also considered one the most well- Known spiritual life professors and one the greatest Sufi writers.

This research consists of introduction, preface, three elements, and conclusion.

In the introduction, the researcher will deal with the definition of her research and will show its importance and the method used in it.

The preface will show Saint Bernard's life and his writing, The first element provides a definition of the concept of love according to saint Bernard and shows the difference between it and that of desire, The second element presents the degrees and types of love according to Saint Bernard, which consists four degrees or types: The first type of love according to Saint Bernard is the sensual love according to which one loves oneself and nothing else. In this type of love Saint Bernard distinguishes between the concept of lust and that of concentrated love of one's self.

The second degree of love according to Saint Bernard's view point is presented as the love between man and the Creator which can be considered the result of the gifts that are endowed by God to man.

The third degree of love is that in which man loves the Creator not because God is the provider of all gifts and utilities, but because God is the origin of goodness – God is goodness in Himself. The essence of this type of love is that , in part, man loves God for God's sake.

The fourth degree of love according to Saint Bernard is that which acheived when man loves nothing – even himself – but for the sake of God only and nothing else. This degree of love according to Saint Bernard is the most sublime degree of love. In this degree of love The human soul ascends far from the earthly desires and sensual matters to eagerly seeks its Creator, God. The importance of this type of love according to Saint Bernard is that it is directly related to Sufism, which can be Considered as one of the most important means that helps Knowing God.

This research ends with a conclusion in which the most important results are presented.

العلم والفلسفة والدين كمقولات لنهضـــة العقـــل العربـــي
بين الماضي والحاضر

د. صلاح عثمان
أستاذ المنطق وفلسفة العلم المساعد
كلية الآداب – جامعة المنوفية

ملخص:

ليس بإمكان المرء أن ينكر أو يتجاهل ما قدمه العرب من إسهامات ضخمة في مجال فلسفة العلم (أو في مجال الكشوف العلمية من جهة ، ومعالجاتها الفلسفية من جهة أخرى) إبان مرحلة ازدهار الحضارة الإسلامية ، وهي المرحلة التي باتت تاريخًا يشهد على قدرة الإنسان العربي – إذا ما أراد – على تحدي معوقات التقدم ، وتذليل الصعوبات التي يمكن أن تحول دون قيام نهضته واستنفار طاقاته المعرفية والإبداعية في شتى الميادين ، نظرًا وتطبيقًا ، ومن ثم قدرته على « بناء » و « إعادة بناء » العديد من الأنساق الفكرية والنظم التقنية ذات الطابع العربي الأصيل ؛ أعني تلك التي تُشبع خصوصية المحتوى الثقافي العربي ، وتتفق ومعطيات الدين ، واللغة ، والتاريخ ، والخصائص الروحية والأخلاقية التي تقع في صميم هذا المحتوى الثقافي ، وتعكس في النهاية ما ندعوه بالهوية العربية المميزة .

وليس الهدف من هذا البحث هو تعداد الإنجازات العربية في الفروع المختلفة والمتباينة للعلم وفلسفته ، فذلك ما تبارت الأقلام في وصفه وتبيانه منذ أن أفلت شمس الحضارة الإسلامية ، بل وما تصدى لتحليله العديد من مؤرخي الغرب المحدثين على اختلاف مشاربهم الفكرية وتنوع أهدافهم البحثية!. كما لا يهدف المقال إلى التباهي بصنيع الأجداد ، أو اجترار الأحزان وذرف الدموع على انفراط عقد الحضارة العربية الإسلامية ، وإفلات الريادة الفكرية من بين أيدينا ، ذلك أننا على اقتناع تام بما أكدته الشواهد التاريخية من أن لكل حضارة دورتها الزمكانية المحددة ، وهو ما بيّنه – على سبيل المثال – كل من « ابن خلدون » ***Ibn Khaldun*** (٧٣٢ – ٨٠٨ هـ & ١٣٣٢ – ١٤٠٦ م) و « أوزفالد شبنجلر » ***O. Spengler*** (١٨٨٠ – ١٩٣٦ م)، حين عمدا إلى تمثيل الحضارات بالكائنات الحية ؛ تولد ، ثم تنمو وتزدهر ، ثم تهرم وتفنى . وإن كنا على اقتناع مساوق بما قرره « أرنولد توينبي » ***A. Toynbee*** (١٨٨٩ – ١٩٧٥ م) من أن أية حضارة لا تموت قضاءً وقدرًا ، وإنما تموت انتحارًا ، وذلك حين تعجز عن الوفاء بمتطلبات الريادة ، فتفقد مقومات الإبداع ، وتهوي إلى أدراك الصراع السياسي ، أو إلى ما أطلق عليه السيناتور الأمريكي « وليم فولبرايت » ***J. W. Fulbright*** (١٩٠٥ – ١٩٩٥ م) اسم « غطرسة القوة » ***The arrogance of power***. إنما يهدف البحث بالدرجة الأولى إلى إلقاء نظرة موضوعية على العوامل التي أدت إلى انطلاق المشروع الحضاري العربي وازدهاره في القرون الوسطى ، وتحديد عناصر الأصالة « المحلية » – والمغيّبة غالبًا من قبل مؤرخي العلم والفلاسفة اللاحقين بتأثير من محليتهم الخاصة – فيما أنتجه العقل العربي من علوم وفلسفات ، ومن ثم تعيين الموضع الدقيق لحضارتنا عبر مسيرة التطور الحضاري للإنسان بصفة عامة . وفي بؤرة هذه الأهداف يقع تساؤلنا المحوري الذي نسعى للإجابة عنه في نهاية هذا البحث، والذي يمكن أن نصوغه على النحو التالي : هل من الممكن في ضوء محليتنا الراهنة – وما يحيط بها من متغيرات دولية بالغة التأثير – قيام مشروع حضاري عربي معاصر يناظر المشروع الحضاري الضخم لأسلافنا ؟ .

7. William Fulbright, 'Arrogance of Power' (*Ghatrasat al-Quwa*), trans. into Arabic by Mahmoud Shukri al-Adawi, The House of Arab Writer for Printing and Publishing (*Dar al-Katib al-Arabi li al-Tiba'a wa al-Nashr*), Cairo, without date.
8. Zaki Naguib Mahmoud, 'The Renewal of the Arab Thought' (*Tajdid al-Fikr al-Arabi*), Sixth Edition, The House Of al-Shurouk (*Dar al-Shurouk*), Cairo, 1980.

II. English References:

1. Arnaldez, R. & Massignon, L., 'Arabic science', in Taton, René (ed.), 'History of science: Ancient and medieval science, from the beginnings to 1450', Trans. By A. J. Pomerans, Basic, N. Y., 1963, Vol. 3, Ch. 2, PP. 385 – 421.
2. Sabra, A. I., 'Avicenna on the Subject Matter of Logic', The Journal of Philosophy, Inc., 1980, pp. 746 –764.
3. ----------, 'The Appropriation and Subsequent, Naturalization of Greek Science in Medieval Islam: A Preliminary Statement', History of Science, Volume 25, Part 3, Number 69, September 1987, pp. 223 – 243.
4. ----------, 'Science and Philosophy in Medieval Islamic Theology: The Evidence of the Fourteenth Century', Zeitschrift für geschichte der arabisch – islamischen wissenschaften, Sonderdruch, Band 9, 1994, pp. 1 – 42.
5. ----------,'Situating arabic science: Locality Versus Essence', Isis, 87,1996, P. 654–670 .
6. Southern, R. W., 'Western Views of Islam in the Middle Ages', Harvard university press, Mass. / London, 1978.
7. Spengler, O., 'Der Untergang des Abendlandes', Trans. into English by Charles Francis Atkinson as 'The Decline of the West', 2-vols., London, 1932, abridged edition by: Hemut Verner & Arthur Helps, New York, 1962.
8. Walzer, Richard, 'Islamic Philosophy', In 'Greek into Arabic: Essays on Islamic Philosophy', Bruno Cassirer, Oxford, 1962.